تدرس هذه المحاضرة مصطلحات علم المخطوط العربي في **معناه اللغوي الاصطلاحي** وفي **دلالاته** ضمن مرحلة من مراحل **ضبط النص وتوثيقه، ومناقشته ضمن سياق نصوص التراث باختلاف المرجعيات**، مرورًا **بالسياق ودوره في تجليات المعنى**، وتأصيل اللفظ ضمن حدود النصين القرآني والنبوي.

أولاً: التعريف بالمخطوط Manuscrit

1. في اللغة:

أشار العلماء في مادة « خطَّ » إلى الأصل اللغوي في استعمالهم لفظ « المخطوط »، قال الزمخشري: « خطَّ الكتاب يخُطُّه خطًّا »[1]، أي: سطّره وكتبه بقلمه أو بيده[2]، بمعنى: صوَّر اللفظ بحروف هجائية[3]، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[4]، وجمعه: مخطوطات، والمخطوطة هي النسخة المكتوبة بخط اليد[5].

2. في الاصطلاح:

اختلف العلماء في مفهومه اختلافًا من حيث اللفظ والبناء المعرفي للمصطلح، وخلاصة قولهم في تعريفه أنه كل وثيقة أو كتاب كتب بخط اليد، في أي نوع من أنواع الأدب سواءً كان ورق، أو على أية مادة أخرى؛ كالجلود والألواح الطينية القديمة والحجارة وغيرها »[6].

ويتسع مدلول كلمة « مخطوط » ليشمل كل ما كتب بخط اليد حتى لو كان رسالة أو عهدًا أو نقشًا على الحجر أو رسمًا على القماش، ويضيق حتى يقتصر على « الكتاب المخطوط

---

[1] الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت 538هـ / 1143م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1998، ص256. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، جمهورية مصر العربية، 2004، ص244.

[2] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ / 1311م)، **لسان العرب المحيط**، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، ص1198.

[3] بطرس البستاني، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص342.

[4] سورة العنكبوت: 48.

[5] النشار السيد السيد، **في المخطوطات العربية**، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997، ص5.

[6] عليان ربحي مصطفى، **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، ط1، مطابع الأرز، عمان، 1996، ص102.

»[1] بخط عربي في شكل لفائف، أو صحف على هيئة دفاتر، أو كراريس[2].

أما معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب فقد كان أكثر دقة في تعريفه المخطوط بهذا المعنى بإضافة كلمة الأصيل فيقول: « المخطوط الأصيل النسخة الأم « Autograbh Holograbh » مخطوطة أصلية مكتوبة بخط المؤلف، والمخطوطة « Manuscript »، أي نص مكتوب باليد على رق أو ورق »[3].

ويصعب على الباحث في الوقت الراهن تحديد أول نص عربي ظهر فيه اللفظ، لأن ذلك يدعو إلى استقراء شامل لكل النصوص الحديثة المتعلقة باكتشاف الطباعة، غير أن الذي ظهر حسب الدراسات المتخصصة أن الفيلولوجيين[4] لا يقبلون استعمال اللفظة إلاّ إذا ألحق بكلمات كتاب « الكتاب المخطوط » لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطًا، فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يمكن اعتبارها مخطوطات، أما الفرنسيون فقد استعملوا لأول مرة مصطلح « manuscriptum » سنة 1594م، وكانوا قد استعاروه من اللغة الإيطالية التي أطلقت عل المخطوط لفظة « libri »[5].

وأن اللفظ المتداول في العصور الوسطى يطلق على الكتاب الذي لم يكن إلاّ مخطوطًا فهو الكراس Codex، وهو لفظ لاتيني ويعني: كتاب، إلا أنه في العصر الحاضر وأخذ مفهومًا

---

[1] أطلق العرب تسميات متعددة على « الكتاب المخطوط » باختلاف العصور، فقد أطلقوا عليه في القرن الأول الهجري (الرقيم، الزبور، المصحف، السفر، الرسالة، الكراسة، الجلد، المجلدة، الكناش، الدفتر)، وفي عصر التدوين والتأليف (المؤلف، المصنف)، وابتداءً من القرن 4هـ / 10م أطلقوا عليه (كتب الأصول، كتب الأمهات، الكتب الأساسية وغيرها)، بالإضافة إلى استعمال مصطلحات مثل التقييد، الفهرسة، الكشكول. ينظر: أحمد شوقي بنبين، **دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي**، ط2، المطبعة والوراقة المحمدية، مراكش، 2004، ص15، 16

[2] عبد الستار الحلوجي، **المخطوط العربي**، ط2، مكتبة مصباح، المملكة العربية السعودية، 1989، ص15.

[2] **المعجم المفصل في الأدب العربي**، إعداد: محمد التونجي، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1999، ص230، 231.

[4] الفيلولوجيا بالمفهوم الألماني هي الدراسة العلمية للنصوص الأدبية، وتعني العناية بتوثيق النصوص وتحقيقها ونشرها والتعليق عليها، وليس المقصود بها فقه اللغة الذي يدرس اللغة على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية، أو النحوية والدلالية والأسلوبية والبلاغية والوزنية والشعرية. ينظر: أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص13.

[5] لفظ لاتيني أصله liber ، وهو (liver في الفرنسية الحديثة) والمعنى التأثيلي للفظ libri قشرة الشجرة التي كانت إحدى مواد اللاتين، ولفظ Biblo التي تعني كتاب في اليونانية. ينظر: أحمد شوقي بنبين، المرجع السابق، ص14.

آخر، فهم يسمون الكتاب الذي لم يدخل المطبعة يعد مخطوطة ويعنون أنها بخط يده[1].

أما مصطلح « **التراث Patrimoine** » فلا خلاف في معناه عند اللغوين، وإن كانت اللفظة قديمًا قد أفادت معنى العموم في: « كل ما يخلفه الرجل لورثته »[2]، أو كل أمر قديم توارثه الآخر عن الأول من كتب ورسائل مخطوطة وآثار علمية وأدبية، « فكل ما خلّفه المؤلف بعد حياته من نتائج يُعد تراثًا فكريًا »[3].

واللفظة عند المعاصرين: « كل ما يرثه الإنسان من أسلافه من ماديات »[4]، أو ما خلفته أجيالٌ من العرب من أُلوف الكتب والرسائل ما يزال كثيرٌ منه مخطوطًا في مكتبات العالم في الشرق والغرب على السواء، وما تحتوي هذه الكتب من آراء ونظريات علمية ليس إلى حصرها سبيل، وحينما يقال « تحقيق التراث » يراد من كلمة « التراث » في هذه العبارة الكتب المخطوط التي ورثها السلف عن الخلف[5].

ويفصِّل المعجم الأدبي[6] في تعريف « التراث » بين نوعين من النّتاج الذي تراكم عبر العصور لشعب من الشعوب فأشار إلى ما تراكم من الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الإجتماعي والسياسي والتاريخي والخُلقي، ويوثق علائقه بالأجيار الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه.

والثاني يبرز فِعل التراث في آثار الأدباء والفنانين، فتصبح هذه الآثار محصّلاً لانصهار معطيات التراث وموحيات الشخصية الفردية.

---

(1) **المعجم المفصل في الأدب العربي**، ج2، ص772، 773.

(2) ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص266.

(3) عبد المجيد دياب، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص12.

(4) عبد الهادي الفضلي، **تحقيق التراث**، ط1، مكتبة العلم، جدة، 1982، ص34.

(5) عبد المجيدديباب، المرجع السابق، 12، 35.

(6) جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، 1984، ص63.

ودلت كلمة « التراث » في الاصطلاح على معنى الخصوص دلالة أوحت بها اللفظة المقترنة به وهي التحقيق على أنها: « الكتب المخطوطة التي ورّثها السلف للخلف، أو كل قديم توارثه الآخر عن الأول »[1].

والحال نفسها تصدق على مصطلح « النص »، حيث يلاحظ على القدماء أنهم لم يستعملوا الكلمة بمعناها العلمي الذي ذكرته المعاجم وهو: « الرفع والإظهار »[2].

أما في العصر الحديث اكتسبت معنى جديد يدل دلالة مجازية من باب التوسع في اللغة[3]، فأخذت الكلمة لتأدية معنى Textes بالفرنسية، وTexts بالإنجليزية[4].

ويبدو أن الأصل في معنى كلمة « نص » مأخوذ من الإقعاد على المنصة، قال أبو العباس ثعلب: « نصّه أي: أظهره، وكل مُظهر فهو منصوص وأصله من نصَّه إذا أقعده على المنصة، وكل تبيين وإظهار فهو نص، وأنشد: [الخفيف]

فإنَّ الوثيقة في نصِّه ونص الحديث إلى أهله[5]

ومنهم من سحب المعنى اللغوي للكلمة إلى معنى آخر في القرآن الكريم في إسناد قراءته إلى القُرّاء الثقات، وإلى الحديث النبوي يُفهم من توثيق روايته وصحة نصوصه، فيقال: نص القرآن المجيد، أي: نقله بالروايات المسندة إلى القرّاء الثقات الأثبات، ونص فلانٌ الحديث نصًّا، أي: رفعه إلى قائله، ومنه نص الحديث الشريف[6].

وأما المعنى الاصطلاحي لكلمة « نص » فقد ذكر الجرجاني أنه: « ما ازداد وضوحًا

---

(1) ليلى توفيق العمري، « **جهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلمية لأسس تحقيق التراث العربي** »، تحقيق التراث الرؤى والآفاق، أوراق المؤتمر الدولي لتحقيق التراث العربي الإسلامي، إعداد وتحرير: محمد محمود الدروبي، مج2، منشورات جامعة آل البيت، 2006، ص439.

(2) ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 776هـ / 1374م)، **كتاب جمهرة اللغة**، حققه وقدم له: رزمي منير بعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص145.

(3) أمالي مصطفى، **فن تحقيق النصوص**، أعدها للنشر وعلق عليها: عبد الوهاب محمد علي، د.م، د.ت، ص119.

(4) ليلى توفيق العمري، المرجع السابق، ص439.

(5) ثعلب أبي العباس أحمد بن يحي (ت 291هـ / 903م)، **مجالس ثعلب**، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار المعارف، مصر، 1950، ص10.

(6) أمالي مصطفى، المرجع السابق، ص119.

على الظاهر بمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى »[1].

وخلاصة القول فإن مصطلح « مخطوط » حديث في كل اللغات وأن ظهوره أفرزه الطباعة، وإن كان الإهتمام به كمتن قد بدأ منذ نهاية عصر النهضة الحديثة، فإن الاشتغال به كقطعة مادية بدأ في القرن الماضي في إطار « علم المخطوط العربي » بمفهومه الحديث.

ثانيًا: دلالة علم المخطوط العربي

1 . مفهومه:

المرادف للمصطلح المعرّب « كوديكولوجيا » هو: « دراسة المخطوط بوصفه قطعة مادية أو وعاء للنصوص »[2]، ويعرفه قاسم السامرائي على أنه علم الاكتناه الإسلامي، وهو يشتمل في اللغات الأروبية على فنين؛ باليوغرافي « palaeography »، وكوديكولوجي « codicology ».

فأولهما الباليوغرافي وهو اصطلاح علمي يتكون من كلمتين Paleo، وهي كلمة يونانية تعني: عتيقًا، قديمًا، باليًا، وثانيتهما لفظة graphy، وتعني: الكتابة، أور سمها، أو نقشها وعلم معرفتها، أما لفظة كوديكولوجي Codicology فمتكونة من لفظتين أيضًا؛ أولهما Codico، أو Codex، ويعني: الكراريس المضمومة إلى بعضها، أو بمعنى أعم: الكتاب المخطوط.

والثاني لفظ logy، من logos اليونانية، ومعناها وصف أو معرفة أو تعلُّم أو علم أو دراسة وبحث[3].

ويراد به عند **القدماء** مفهوم الوراقة، أو كل ما يتعلق بالمخطوطات من كتابة وصناعة وتجارة وترميم وما إلى ذلك، فضلاً عن إسهامه بمعارف دقيقة متعلقة بمصير الكتاب المخطوط

---

[1] الجرجاني علي بن محمد الشريف (ت 816هـ / 1413م)، **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص202.

[2] أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، **معجم مصطلحات المخطو العربي**، ط3، منشورات الخزانة الحسنية، الرباط، 2005، ص302. رشيد العناني، **دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997، ص168.

[3] قاسم السامرائي، **علم الاكتناه العربي الإسلامي**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2004، ص17 ــ 19. أيمن فؤاد السيد، **الكتاب العربي وعلم المخطوطات**، ج1، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1997، ص1.

وهوية مستكتبه وملاّكه المتتابعين[1].

ويعرفه أحمد شوقي بنبين بأنه: « دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي، وبالتالي بحث العناصر المادية للمخطوط، وبعبارة أخرى هو علم يهدف إلى دراسة كل ما هو مكتوب في الهوامش من شروح وتصحيحات وما إلى ذلك من معلومات عن الأشخاص الذين تملكوه أو نسخوه أو قرأوه أو استعملوه أو وقفوه ثم الجهة التي آل إليها، والمصدر الذي جاء منه، ثم العناصر النتعلقة بصناعة المخطوط من ترتيب وتوريق وترقيم وغير ذلك، ثم تاريخ المجموعات ووضع القوائم والفهارس العلمية والكشافات وفهارس الفهارس وغيرها »[2].

وفي تقدير عبد الستار الحلوَجِي أن علم المخطوط يقوم على دعائم ست، ويدخل تحت مظلته ستة موضوعات أو محاور أساسية، وهي تاريخ المخطوط، ثم الكيان المادي للمخطوط والأدوات التي يكتب بها من أقلام وأحبار، ثم يتبعه بتقييم المخطوطات ويدخل فيه توثيق النسخ المخطوطة ومظاهره المتعددة كالتمليكات والسماعات والإجازات، والحفظ والصيانة والترميم والتصوير، والفهرسة والضبط الببليوغرافي، وأخيرًا التحقيق والنشر[3].

2 ـ عناصر ووظائفه[4]:

إن عناصر ووظائف علم المخطوط العربي لا تختلف كثيرًا عن مكونات الكوديكولوجيا الغربية، ما دامت المناهج والقواعد الحديثة التي وضعت لدراسة المخطوط العربي يمكن تطبيقها المخطوط الشرقي بالرغم من الفوارق الكبيرة بين الشرق والغرب، ويمكن الإشارة إلى أهمها من خلال ما يلي:

ـــ وضع قوائم وكشافات لمجموعات المخطوطات الخزائتية تمهيدًا لوضع فهارس علمية على قواعد ثابتة، وذلك بمسح شامل لأماكن تواجد التراث على مستوى البلاد العربية والبلاد الإسلامية.

---

[1] جاك لومير، **مدخل إلى علم المخطوط**، ترجمة: مصطفى الطوبي، إشراف وتقديم: أحمد شوقي بنبين، ط1، المطبعة والورتقة الوطنية، مراكش، 2006، ص35، 36.

[2] أحمد شوقي بنبين، **في الكتاب العربي المخطوط**، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2013، ص52.

[3] عبد الستار الحلوجي، **نحو علم مخطوطات عربي**، دار القاهرة للنشر، القاهرة، 2004، ص16، 17.

[4] للتفصيل في ذلك يراجع: أحمد شوقي بنبين، **دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي**، ص25 ـــ 29.

ـــ وضع فهارس موحدة التي تعتبر اللبنة الأولى لوضع فهرس دولي موحد يضم جميع المخطوطات العربية، ثم القيام بفهارس حسب الفنون (كفهارس المخطوطات الطبية والفلاحية وكتب الصنعة وغيرها)، ثم فهارس المخطوطات الفريدة والنادرة وأخرى بالمخطوطات المؤرخة، وأخرى بالمخطوطات القديمة أو الأصلية، وأخرى بالمزخرفة والخزائنية... إلخ.

ـــ وضع فهارس الفهارس، كفهارس المخطوطات التي قام به كوركيس عواد (فهارس المخطوطات العربية في العالم)، والمستشرق الفرنسي فاجدا (دليل الفهارس وقوائم المخطوطات العربية)، وويسمان Huisman (المخطوطات العربية في العالم)، وفؤاد سيزكين (تاريخ التراث العربي).

ـــ وضع فهارس النساخ والمجمعين وهواة الكتب ومجموعات المخطوطات أو الخزائن.

ـــ وضع معجم خاص بمصطلحات علم المخطوط العربي، فما أوفر تلكم المصطلحات التي لا نفهم معناها؛ منها الفارسي والتركي وحتى العربي.

ـــ معرفة الكاغد والحبر والجلد والرق والتسفير والأقلام والزخرفة والتصوير هي التي تقعد له وتضبطه وتقننه، ذلك أن علم المخطوطات تجارب تحتاج إلى التقعيد، وقواعد تحتاج إلى المصطلحات، واصطلاحات تحتاج إلى التعريفات، وضوابط تحتاج إلى التقنين.